التعلق النصي بين الرواية العربية و الخطاب الديني " النفير و القيامة" لفرج الحوار أنموذجا

الأستاذة : منصوري نجوى
قسم الآداب و اللغة العربية
كلية الآداب و اللغات
جامعة العربي التبسي-تبسة(الجزائر)

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى بيان قدرة النص الروائي الجديد على احتواء النص التراثي بما يحمله من إمكانات معرفية وجمالية خلدته عبر التاريخ، وبما أن الرواية العربية قد جسدت قدرة النص الجديد على تحويل الخطاب السردي القديم وتعاطي مختلف أشكاله تبعا لما استدعاه حال العصر الجديد وفق ما اصطلح على تسميته ب"التعلق أو التفاعل النصي"، جاء هذا البحث ليقدم "النفير والقيامة" كأنموذج روائي تجلت في خطابه ظاهرة تعلق النص الجديد بالخطاب الديني على اعتباره أجل نص تراثي ورثه الإنسان عن التاريخ .

Résumé:

Cette étude demondre la capacité du nouveau texte narratif contenant le patrimoine religieux avec toutes ses possibilités cognitives et esthétique qui l'ont mémorisé à travers l'histoire étant donné que le roman arabe a concrétisé cette capacité selon l'époque moderne par l'intéraction textuelle . Cette étude tend à le demonder autant qu'un héritage précieux .

استطاعت الرواية العربية أن تتخلص من هيمنة الأشكال القصصية القديمة التي كانت مسيطرة على الساحة الإبداعية السردية قبل الاتصال بالغرب ، كما استطاعت . بعد . الصحوة الأدبية . أن تنفصل عن الرواية الغربية التي هيمنت عليها مدة ليست بالقصيرة لتواكب كل المستجدات والإبداعات السائرة في طريق النمو .

ولتبقي الرواية على نفسها ضمن دائرة الذاكرة الثقافية العربية وتحافظ على أصالتها كفن أدبي عربي أبقت على الموروث وارتكزت عليه واشتغلت على أشكاله وأنواعه لتخرجه من دائرة الاجترار إلى طريق الانفتاح والتفاعل

وليكون استلهام الموروث فعلا إبداعيا استراتيجيا عمد الروائي إلى استحداث آليات قراءة النص التراثي وتوظيفه ليعبر عن الواقع المعاش وفق منظور أدبي ورؤية أيديولوجية واجتماعية تاريخية وعقائدية ...فنتج خطاب روائي متعلق بنص تراثي دلاليا وفنيا جماليا

من هذه الزاوية وظفت العديد من الروايات النص الديني بمصادره القرآنية والتوراتية والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث النبوي الشريف، والفكر الديني أو الصوفي، وظهر لهذا التوظيف مستويات عديدة، من بينها : توظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية وبناء أحداث الرواية في ضوء أحداث القصة الدينية ، وكذا التنويع الانتقائي للنص الديني داخل الخطاب الروائي

ولعل هذا التوظيف يتكئ على خلفية سيطرت على المبدع ذاته في محاولته الاقتراب من النص الديني، أوجدتها بعض الأسباب منها:

1- الخطاب الديني جزء من التراث الذي حملته ثقافة المجتمع العربي، لذلك يكون استدعاء التراث زاوية مهمة يعالج من خلالها الروائي قضايا مجتمعه و مشاكله

2- الخطاب الديني تراث سردي قصصي، فهو معين طيب منفتح يجعل الرواية العربية محافظة على أصالتها من جهة، منفتحة على الإنسانية من جهة أخرى .

أولا : التعلق النصي Hyper textualité(دراسة في المفهوم)

إن التعلق أو التفاعل النصي يجسد العلاقة القائمة بين نصين متكاملين أولهما سابق(Hypotexte)والثاني لاحق(Hypertexte). وبالنظر فيما نبحث فيه يتضح أن النص السابق هو ما يمثله الخطاب الديني وأما النص اللاحق فهو الرواية محط الدراسة " النفير والقيامة " لفرج الحوار *

إن فعل التعلق بين النصين تفاعل أساسه قراءة الروائي الحامل لثقافة عصره والمسلّم لفكره الأيديولوجي والاجتماعي والعقائدي ...للنصوص الدينية التي تمثل موروث الجيل اللاحق، ويكون هذا التفاعل عن طريق فعل الكتابة

فعلى مستوى الكتابة الإبداعية، يبدو الجنس الروائي أكثر الأجناس الأدبية تفاعلا مع النصوص السابقة؛ فباعتباره عالما سرديا مليئا بالأحداث التي تمت بصلة للواقع وشخصيات معبرة بموقفها عن خبايا هذا الواقع ومستوياته الفكرية والاجتماعية والثقافية ...وغيرها، وكذا بزمان و مكان معينين أو غائبين، لأن الرواية كذلك تستدعي كل ما له علاقة من قريب أو بعيد بتصوير هذا الواقع وحمولاته أو الإيحاء بها على الأقل . فهي تحاكي ، على حد تعبير باختين ، الأنواع الأدبية الأخرى كي<< تكشف عن أشكالها ولغتها

التعاقدية .إنها تقصي بعضها، وتدمج بعضها الآخر في بنيتها الخاصة، معيدة تأويلها ومانحة إياها رنة أخرى >> [1]

لقد كشفت معظم الروايات العربية التي ظهرت منذ الستينات عن قدرة كبيرة على احتواء النصوص التراثية وتحويلها بوعي فني وفكري متميزين لإنتاج نص جديد تماهى في الماضي واستدعاه لتحقيق غايات جمالية ودلالية

حدث هذا الاستدعاء بعد هزيمة 1967 التي طرحت أسئلة حضارية متكررة ومتوالية عن أسباب الانهزام ودواعي التأخر والانفلات، ثم البحث في الأسباب وإيجاد الحلول.

من هنا اختارت الرواية العودة إلى ما يحقق لها أصالتها عن طريق استدعاء الموروث لا لغرض إعادته واجتراره، وإنما لتوظيفه في النص وللتعبير عن الواقع المعاش.<< إن أي تفاعل مع التراث لا يمكن أن يكون منتجا إلا إذا كان تفاعلا إيجابيا مع واقعه (بمعناه العام) أي الواقع الذاتي الذي لا يزال يتفاعل مع التراث باعتباره امتدادا ثقافيا وروحيا، ومع الواقع العام أي العصر الذي تنتج فيه متفاعلات نصية جديدة ومستمرة > [2]

يتم على مستوى النص الروائي الجديد . وبطريقة تقنية . الاستحواذ على المادة الحكائية التراثية ثم محاورتها بالاعتماد على مبدأي التحويل والمعارضة : << النص المنجب يحاول أن يسلب النص المنجب أخص مقوماته الفنية بعد أن يتلبس بلغته . ونجاح الرواية كجنس في أداء هذه الوظيفة الدلالية . فضلا عن غيرها . هو الذي منح الرواية مكانتها الفنية المعاصرة >> [3]

يرى سعيد يقطين أن النصوص العربية المعاصرة في تعاملها مع التراث العربي تتبنى شكلين أساسيين : << الانطلاق من نص سردي قديم

كشكل واعتماده منطلقا لإنجاز مادة روائية . وتتدخل بعض قواعد النوع القديم في الخطاب فتبرز من خلال أشكال السرد وأنماطه أو لغاته>>[4]

وفي هذه الحالة تصطبغ لغة النص الجديد بالإطار العام للغة النص المستدعى . أما الشكل الثاني فيتم << بالانطلاق من نص سردي قديم محدد الكاتب والهوية وعبر الحوار أو التفاعل النصي يتم تقديم نص سردي جديد (الرواية) وإنتاج دلالة جديدة لها صلة بالزمن الجديد الذي ظهر فيه النص>>[5]

ثانيا: تجليات النص الديني في الرواية

1- المناص (Paratexte)

ويقصد به ، حسب المفهوم الذي جاء به جيرار جينات (Genette Gerrard) العناوين والمقدمات والذيول والصور ... وغيرها من النصوص التي تحيط بالنص ولا تدخل في محتواه السردي .فإذا ما أردنا رؤية العمل الروائي على هذا الأساس : وجدناه قسمين: قسم داخلي ويمثل الرواية بوصفها نصا أي سدا بمكوناته التي تضم الشخصيات ، والفضاءات والأحداث ...وقسم خارجي يشمل العناوين الأصلية والفرعية، والمقدمات، والهوامش، وغيرها...>> [6]

يتبدى النص الديني خارج السياق الروائي، من خلال عنوان الرواية الأصلي "النفير والقيامة" وهو ما يحيل إلى النصوص الدينية التي تحدثت عن يوم القيامة وأهوالها ، فهو ذلك اليوم الذي تدك فيه الجبال، وتسقط فيه الكواكب والنجوم [7]وهذا ما جاء في العديد من سور القرآن الكريم

إن هذا التجلي للنص القرآني إنما هو استدعاء اختاره الروائي كقوة بيانية ودلالة موحية تشير إلى الواقع المعاش وفعل التغيير الذي أراده الروائي

في نصه. إنه يحاول تصوير الثورة التي تحدث تغيرات في حياة الناس لتنقلهم من الضعف والهوان إلى القوة والمواجهة والتصدي.

2- التناص (Intertextualité)

إذا ما أردنا تحديد مفهوم التناص الذي يحمل معنى "التفاعل النصي" وهو ما أدرج فيما سبق؛ يمكننا القول بأنه ما أخذ بعد التضمين ضمن التعالق أو التفاعل بين النصوص قديمها وحديثها . أي؛ أن تتضمن بنية نصية ما عناصر سردية من بنيات نصية سابقة، فتبدو وكأنها جزء منها [8]

يبدو ذلك في الرواية من خلال تناص كلام "المهدي" مع الآيات الكريمات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكذا التراتيل الدينية، يقول: << ذلك الوعد لا ريب فيه منارا للصادقين الذين يؤمنون بالحرب ويشحذون الهمم ومما أغدقنا عليهم من حزم ينفقون والذين يؤمنون بالحرية والسيف وطيبات الحديد وبالنهضة يوقنون أولئك على هدى من أمرهم وأولئك هم المفلحون ... >> [9] وقوله : << ... وإذا قلتم لهم أشرعوا سيوفكم كما فعل غيركم قالوا أنريق الدماء ظلما وعدوانا ولما نتبين طوية الطيور الجوارح ولا جادلناهم ألا إنهم هم الطيور ولكن يستترون ... >> [10] وقوله أيضا : << ... مثلهم كمثل الذي مد يده يصافح العدو وقطع ما امتد من أيدي الأقربين فلما خيل إليه أن تمكن له الأمر أثرنا عليه الزوابع فانفض من حوله مرتزقة الطيور والجوارح وجعلناه نسيا منسيا >> [11]

هذه المقاطع مأخوذة من كلام المهدي في دعوته إلى قتال الأعداء وتحرير الأرض وبناء الوطن، ووصفه بعض الذين يوجه إليهم الخطاب بالمنافقين بعدما تقاعسوا عن أداء واجبهم الوطني واستسلموا لرغبات العدو

. وكلماته في هذه الخطابات متناصة مع آيات من سورة البقرة؛ فالقارئ بتمعن يجد نوعا من التشابه في طريقة وضع الكلم وتركيب الجمل وكأن الروائي يقتدي بكلام الله عز وجل للرفع من شأن دعواته وتعظيمها

لقد استدعى الروائي آي سورة البقرة الممتدة بين الآية الثانية والآية السابعة عشر، وذلك في قوله جل شأنه : << ...ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون >> [12]إلى قوله تعالى : << مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون >> [13]

جرى هذا الاستدعاء بطريقة فيها محاورة استبدالية؛ فهذا العود الحميد للروائي كان على أساس المغايرة لا على أساس المحاكاة ومثال ذلك التغيير ما حدث على مستوى الملفوظات ضمن التركيب الموحد الذي جمع بين النصين ، ويظهر من خلال قوله "منارا للصادقين" بدلا من "هدى للمتقين" وقوله أيضا : "مثلهم كمثل الذي مد يده يصافح العدو وقطع ما امتد من أيدي الأقربين" بدلا من "مثلهم كمثل الذي استوقد نارا"

يبدو ، من خلال هذا الالتقاء التغييري ، إنتاج جديد للدلالة ؛ ذلك أن الروائي اعتمد الخطاب القرآني كإطار تركيبي فني يحاكي من خلاله نصه الجديد ولم يتوغل في معانيه، فقد عمد إلى استظهار دلالات جديدة لها علاقة بقضايا مجتمعه الجديد والذي ينقسم في تعامله مع قضية الثورة صنفين من الناس : صنف يتبنى الثورة ويعمل على نهضة الشعوب ضد الأعداء، وصنف يرفض هذا المبدأ فيظهر كخائن للوطن والأرض . مثالهم في القرآن صنف المؤمنين وصنف المنافقين وما بينهما من فروق وهو ما عمدت الآيات السابقات إلى توضيحه .

من هنا يمكن القول بأن النص اللاحق (الرواية) قد تأسس على النص السابق (القرآن الكريم) ثم اختلف عنه ليبرز خصوصية القضية الاجتماعية الوطنية التي يود استدراجها ضمن الإطار المعرفي لآي القرآن الكريم . وتبعا لهذا الاستخدام الفني المعرفي برزت إنتاجية النص الجديد المستلهم للنص القرآني من أجل التعبير عن الواقع المعيش

وفي نفس المستوى استدعت شخصية «المهدي" في الرواية سياق الآيات المتحدثة عن أهوال يوم القيامة ، ومثال ذلك قوله : << ... سقط الحصن الحصين، انهار جناح من قصر المناعة والسؤدد وباد صرح المجد الأثيل >> [14]. ولإظهار قوة الاقتتال الطائفي الذي حدث في لبنان استدعى سورة القارعة وسياقها التركيبي الذي وضعت فيه الآيات الكريمات ولعل قوة المماثلة جعلته يحافظ على ملفوظات الخطاب القرآني للدلالة على التحول الرهيب الذي حدث أيامها، يقول : << القنبلة الثالثة هزت مناكب الأرض فزلزل زلزالها، القارعة وما أدراك ما القارعة أتت على الأخضر واليابس والسائل والصلب ...>> [15] اقتداء بقوله تعالى : << القارعة ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث *وتكون الجبال كالعهن المنفوش >> [16]

ضمن هذا الإطار التواصلي مع النص القرآني يظهر تقارب دلالي بين حديث المهدي عن أهوال وظروف الاقتتال وما جاء في آيات سورة القارعة عن أهوال يوم القيامة؛ فدلالة الخراب والدمار والتيه واللااستقرار على الأرض قائمة رابطة بين النصين حتى وإن اختلفت الأمكنة والأزمنة وما يرتبط بهما (ولله المثل الأعلى) .

3 - **الاقتباس :(Quotation)**

في موضع آخر من الرواية يظهر الخطاب الروائي أكثر التصاقا بالخطاب القرآني، عن طريق تقنية الاقتباس؛ وذلك بالإبقاء على بعض آيات القرآن الكريم لفظا ومعنى لأجل التعبير بصدق عن الواقع وقضاياه مما لجأ الروائي إلى تصويره وانتقاده

مثال الاقتباس في الرواية قول "المهدي" : << ... لا تتأسوا على القوم الظالمين الفاسقين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى >> [17]، فقد حضرت الآية الكريمة من سورة الحشر في قوله تعالى : << لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى >> [18]

هذا التواجد النصي لآي القرآن الكريم بهذه الصورة يوضح مدى التطابق الحاصل بين الخطابين : السابق وهو القرآن الكريم واللاحق وهو الرواية، فقد استطاع الروائي المحافظة على سياق النص القرآني بلفظه وتركيبه، وتعدى ذلك إلى الحفاظ على الدلالة التي تحيلنا إلى صفة الفاسقين وتبدد قواهم؛ فالفاسقون في الإسلام من ارتدوا عن الدين والإيمان والفاسقون وطنيا هم المتخاذلون الخائنون الذين تخلوا عن مسؤولياتهم اتجاه النضال ومواجهة الأعداء . فالكلام في الخطابين معا موجه إلى المؤمنين بدينهم في الخطاب القرآني والمؤمنين بنضالهم وبناء وطنهم في الخطاب الروائي

ثالثا: جماليات توظيف الخطاب الديني (البنية الفنية للخطاب الروائي)

الخطاب الروائي بناء يعتمد على مجموعة من اللبنات الأساسية المشكلة لإطاره الفني والجمالي وتمثلها الشخصيات والزمان والمكان

والحدث والسرد . فهي نص متكامل يضم << بنية متلاحمة العناصر، بينة كبيرة تحتوي على بنى متفاوتة من حيث الطول، فهناك وحدات صغرى كالبنية الصوتية والصرفية وهناك وحدات أكبر كالبنية التركيبية ووحدات كبرى مثل البنية السردية أو الوصفية أو الحوارية >> [19].

لقد تعددت أبعاد الخطاب الروائي الجمالية بتكاثف عناصره المختلفة والمتعددة المشارب، المتنوعة الرؤى، المنفتحة الآفاق والتي تبوح كلها عن أسراره ومغاليقه، ففي هذه الدوائر الجمالية تتحرك الطاقات المختلفة ويتفجر الخطاب من داخله ليكشف عن مناطق مجهولة فيه، نابعة من النفس البشرية، معبرة عن رغباتها وطموحاتها وحالاتها المتباينة .

وبما أن الخطاب الروائي قد تعلق وتفاعل مع الخطاب الديني فقد عمد الروائي في "النفير والقيامة" إلى تأصيل البناء الفني الذي سيقت فيه الرواية بالاعتماد على الإطار المعماري الفني لبعض النصوص الدينية على مستوى الأحداث والسرد وكذا الشخصيات .

أ – **بنية الشخصيات** :

إن ضرورة البحث عن الشخصية الروائية المتماهية في التراث الديني المستلهمة لمواقف وسلوكات شخصيات منه لا يتأتى من أن الشخصية هي مجرد عنصر من البناء الروائي فحسب، بل تتأتى أيضا من قيمتها في التعبير الجمالي، فالوعي بطبيعتها يسعى إلى تملك العالم بحركات الذات والفضاء الخارجي المرتبط ببنية المجتمع

تعتمد رواية "النفير والقيامة" في بناء أحداثها على شخصية "المهدي" و شخصية "الدجال"، وقد تم استدعاء شخصية "الدجال" من الخطاب

القرآني وخطاب الحديث النبوي الشريف، وكل الكتب الدينية المتحدثة عن أشراط الساعة لرسم شخصية "حوت القرش" على ضوئها، وذلك عن طريق إسناد أوصاف الدجال لشخصية "حوت القرش" الشريرة .

من تلك الأوصاف التي جاء ذكرها في بعض الروايات المنسوبة إلى علي – كرم الله وجهه– طول الدجال << أربعون ذراعا، ويركب حمارا طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا، ما بين الحافر والحافر مسيرة يوم وليلة، ويتناول السحاب بيمينه، ويسبق الشمس إلى مغيبها ويخوض البحر إلى كعبيه >> (20).

هذه الأوصاف الخارجية التي حملتها شخصية أعور الدجال والتي ترمز للسلطة الشريرة المستبدة قد بدت بها شخصية "حوت القرش" الذي خرج من << عظمة البحر له حافر البغل و أسنان الأسد، ولبدته.و على رأسه عمامة من ناطحات السحاب ، و الجذع جبة في سعة الدنيا>> (21).

و الملاحظ هنا قوة تصوير الشخصية الروائية الموالية للسلطة بإسنادها أو موازاتها لأعظم شخصية طاغية شريرة في تاريخ البشرية إلى قيام الساعة

وتكتمل شخصية "حوت القرش" بخضوع أتباعه له وهيمنته عليهم،خوفا وطمعا، وذلك شبيه بفتنة كثير من الناس بالمسيح الدجال حسب ما نبأ به الخطاب الديني في سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتحدثة عن قيام الساعة وظهور الدجال، يقول الراوي : << وقف رجال الشرطة يسدون المنافذ في وجه العامة التي تحلب ريقها وامتدت ألسنتها، ألسنة كلاب لاهثة، وجحظت عيونها من فرط الوله والولاء وحب أولي الأمر ... >> (22)

على صعيد آخر برزت شخصية "المهدي" المستوحاة من المخيلة الشعبية الدينية على أنها المخلص الذي يستنجد به الراوي في حلمه ليخلصه من عالم تسيطر عليه قوى الشر المتمثلة في "حوت القرش" وأعوانه. و لقد حمل هذا الاستدعاء للشخصية تحويلا لمعنى الخلاص الذي تقيدت به تلك الشخصية في المخيلة الشعبية؛ ليتم طرح مفهوم جديد للخلاص أساسه الجد والعمل بدل القول والثورة بدل الخضوع والاستسلام، لذا تستند شخصية المهدي في الحكاية الروائية إلى الحث على العمل والإيمان بالقوة والأخذ بالأسباب للمواجهة والتخلي عن إصدار الخطابات والبيانات والتعامل مع الواقع بجدية دون يأس والابتعاد عن التمسك بالأحلام وما تفرضه مخيلة الشعوب .

لقد تخلت شخصية "المهدي" عن مثالية فكرة الخلاص التي انحصرت في الراوي وأحلامه الخاضعة لارتباط الخلاص من عالم القهر والظلم والاستغلال بظهور المهدي حين يقول: << وجهه الوقور الجليل سرداب عصي تزدحم فيه جحافل الظلام وقطعان الشهب، فأراه مرة وقد أميط عنه لثامه حتى لكأنه المنار ولد من أحشاء الموج>> [23]، فقد ظهرت هذه الشخصية بتصور موضوعي جديد يوافق حالة المجتمع وما يتطلبه من قوة وتصد فعلي جاد لأسباب الظلم والقهر والخنوع، كما تبنت موقفا جديدا أكثر واقعية وهو تحريض الذات على ما هو قائم وتجاوز اليأس والارتباط الخيالي بالخلاص على يد المهدي الآت .

ب – بناء الأحداث :

ارتبطت أحداث الرواية في تعلقها بالخطابات الدينية المجسدة لحكاية الأعور الدجال والمهدي المنتظر إعلانا بقيام الساعة وأهوالها، بما تداولته

تلك الخطابات عن أتباع الدجال ومعارضيه و إحداث الفتنة والفساد في الأرض، وكذا ظهور المهدي الذي يخلص البشرية منه ويقود المؤمنين للانتصار عليه .

تبعا لذلك ظهرت الأحداث إما مماثلة و مطابقة للأخبار المستقاة من الخطابات الدينية عن الشخصيتين و إما مخالفة لها؛ فقد تطابقت أحداث الرواية مع ما جاء في النص التراثي عندما جسد شخصية الدجال في شخصية "حوت القرش"، فجعل للشخصية الروائية أعوانا ومساندين يوافقونه ويخضعون لأوامره كأولئك الذين اتبعوا الدجال وآمنوا بزيفه وقدموا له الطاعة والولاء في النص التراثي الديني مما جاء في القرآن أو السنة أو كتب أشراط الساعة . كما جعل لنفس الشخصية الروائية معارضين يرفضون الانصياع له ويحرضون الناس على التصدي له والثورة عليه من أمثال "الرغيدي" الذي يلقى حتفه على يد حوت القرش، كما كان للدجال في الخطاب الديني معارضين ومؤمنين أشداء يحاربونه ويصدونه عن مبتغاه في تحقيق الهلاك وتكثيف الفتنة .

واختلفت أحداث الرواية في ارتباطها بسلوكات ومواقف شخصية "المهدي" المستدعاة من النص التراثي لأجل الخلاص من الدجال "حوت القرش" وشروره؛ فقد انحرفت الأحداث التي حققتها الخطابات الدينية في الرواية فيما تعلق بظهور المهدي الذي يقود المؤمنين وينتصر على الدجال وأعوانه، لتأخذ الرواية مسارا آخر يتماشى وطبيعة الواقع المعيش؛ فنهاية الرواية تشير إلى انتصار "حوت القرش" –رمز التسلط– على الثوار والمعارضين الذين حثهم وحرضهم المهدي، ليؤكد المبدع أن الظلم والاستبداد مستمر في الواقع ما دام هذا الواقع يقدم مسوغات وجوده .

ج – بنية السرد :

يعنى السرد (Narration) بعملية نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية، وهو الفعل الذي تنطوي عليه السمة الشاملة لعملية القص، أي ما يقوم به السارد حين يروي الحكاية .

يحاول السرد أن يعيد تكثيف الأحداث الواقعية إلى تخييلية، فهو عادة ما يحكي عن شخصيات تقوم بأفعال يمكن تصور وقوعها في الواقع المعيش، ويتطلب السرد لذلك راو يروي الحكاية أو يخبر عنها [24] .

يقوم سرد "نفير يوم القيامة" على التخييل محاكاة لسرد الخطاب الديني المجسد لأشراط يوم القيامة وارتباطها بالدجال والمهدي؛ وهو سرد يعتمد على الاستشراف المستقبلي، وقد قامت المحاكاة السردية على أساس التنبؤ بما سوف يحدث حاضرا ومستقبلا ، وفي ذلك أدى الراوي دورا أساسيا في سرد الأحداث وتجسيد وجهة نظر المبدع (على أرجح تقدير) اتجاه واقعه المعيش. يقول الراوي : << وتتهاطل الغوائل والأرزاء آخذة برقاب بعضها البعض، في عناق تزهق من جرائه الأرواح . ويموت من يموت، ويفنى من يفنى، ويتيه من يتيه. وباب الرحمة موصد كأنما شد وثاقه بالمسامير، ثم تهب على الدنيا ريح شرسة تنزع أوتادها وتفتق مناكبها، فيفيق الناس بعد هول وإذا بلادهم عنهم نائية >> [25].

بدت محورية الراوي في التعاطي مع شخصية "المهدي" للكشف عن أعماق الرؤية الأيديولوجية التي تتبناها الرؤية السردية** أو وجهة نظر المبدع نفسه . فقد ظهرت مواقف الراوي وأحاديثه متأرجحة بين اليأس في مواجهة الواقع من جهة، والأمل في الخلاص من جهة أخرى . يقول عن المهدي : << فأراه مرة وقد أميط عنه لثامه حتى لكأنه المنار ولد من

أحشاء الموج، ويغيب مرة أخرى فيبتلعني الليل ويضيع عني البرهان. وأظل هكذا موزعا بين المد والجزر مترددا بين اليقين والبلاء والليل من حولي يتمطى ويتثاءب ويهمهم بغليظ الوعيد >> [26].

وبالتركيز على وجهة النظر أو الرؤية السردية نقول إن الحوار السردي في الرواية اعتمد على الشخصية الدينية للتعبير عن نفسها وتوضيح صورتها بدلا من استخدام اللغة الكلاسيكية للراوي أو تدخل الشخصيات الروائية الأخرى، فهو ، بطريقته الخاصة في سرد الحكاية، خلص الموروث الديني من هيمنة الرؤية الأيديولوجية المرتبطة بوعي شخصي .

وتبعا لما سبق نخلص إلى أن النص الجديد "النفير والقيامة" قد تشرب النص الديني، فاستطاع بمعمارية خاصة في الكتابة استدعاء ما تحتاجه زمنية الرواية المعبرة عن الواقع عن طريق الموازاة بالمخالفة والاستبدال أو المحاكاة، وهذا ما يبرز قدرات الروائي في تعاطي الخطاب التراثي الديني وكتابة الواقع تحت ظله .

الهوامش و المراجع

* – فرج الحوار : روائي ولد عام 1954 بحمام سوسة "تونس" حصل على الإجازة في اللغة والآداب الفرنسية، مؤلفاته الروائية : النفير والقيامة 1985 ، المؤامرة 1992 ، التبيان في وقائع الغربة والأشجان 1996 .

1- M . Bakhtin : Esthétique et théorie du roman . Ed . Gallimard , 1978 . p 443 .

2- سعيد يقطين ، "الرواية والتراث السردي ، من أجل وعي جديد بالتراث" ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة، 2006 ، ص 230 .

3- نفسه ، ص 47 .

4- محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،"مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر (دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد " ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط1، بيروت، 2008 ، ص 45

5- نفسه ، ص 05 .

6- سعيد يقطين ، " انفتاح النص الروائي " المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992 ، ص 99 .

7- القرآن الكريم (رواية حفص) ، سورة التكوير .

8- سعيد يقطين انفتاح النص الروائي ، ص 98 .

9- فرج الحوار ، "النفير والقيامة" ، دار سراس ، ط1 تونس 1985، ص 120 .

10 الرواية ، ص 120 .

11- الرواية ، ص 121 .

12-البقرة،الآية 2،3

13- البقرة،الآية 17 .

14- الرواية ، ص 66 .

15- الرواية ، الصفحة نفسها .

16- القرآن الكريم ، سورة القارعة ، الآية 1-5

17- الرواية ، ص 97 .

18- القرآن الكريم ، سورة الحشر ، الآية 14 .

19- ك.م . نيوتن ، "نظرية الأدب في القرن العشرين" ، ترجمة عيسى علي العاكوب ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، 1988 ، ص 143 .

20- محمد بن عبد الرسول الشهرزوري،"الإشاعة لأشراط الساعة" ، تحقيق : موفق فوزي الجبر، دار الهجرة ، ط2 ، بيروت ، دار النمير ، دمشق ، 1995 ، ص 192 .

21- الرواية ، ص 53

22- الرواية ، ص 50 .

23- الرواية ، ص 40 .

24 – سعيد يقطين ، "الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي" ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص 19 .

25- الرواية ، ص 43 . 44 .

** الرؤية السردية:نشأ مصطلح "الرؤية" انطلاقا من العلاقة التي تجمع السارد والعالم الممثل، فهي تتعلق بالجانب البصري والإدراكي لفعل السرد، وتظهر من منظور الراوي للمتن الحكائي خاضعة لإرادته وموقفه الفكري وبواسطتها يتم تحديد وجهة نظر الراوي وصيغته (ينظر، موريس أبو ناظر،"الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة"، دار النهار للنشر، بيروت، 1979، ص 109.)

26- الرواية، ص40-41